

إعداد معلم اللغة العربية الباكستاني

إبراهيم محمد إبراهيم *

مدخل: بدهيات ومسلّمات

البدهية الأولى: واقع مرفوض

ظلت اللغة العربية في نظر أبنائها والمسلمين جميعاً لغة ذات مكانة لا ترقى إليها لغة أخرى ، والسبب الأول وراء هذا التصور هو أنها لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، كما أنها لغة الحضارة والتراث الإسلامي القديم والحديث على السواء مع اللغة الأردية والفارسية . ورغم أن هذا التصور تقف وراءه بعضه عاطفة الحب والتقديس لدى المسلمين ، إلا أن اللغة العربية بالفعل لا تقل عملياً ولا علمياً عن هذا التصور ، فهي من أغنى لغات العالم لغة وأدباً ، ولها إسهام كبير في بناء صرح الحضارة الإنسانية عموماً ، ولهذا فإن الإقبال على دراستها سواء في الدول العربية أو الدول الإسلامية غير العربية مرتبط دائماً بحب الدين الإسلامي ، وربما ينظر إليه الكثيرون على أنه غاية في ذاته تنال به سعادة الدارين .

لكن الأمر أصبح الآن مختلفاً بمرور الأيام وتعدد الأزمات في عالمنا الإسلامي ، وتزايد نسبة البطالة فيه بشكل مخيف ، وتراجعته إلى الصفوف الخلفية في ركب التطور العلمي ، وطغيان الثقافة الأوروبية عليه بكل ما يحمي ظهرها ويزيد في طغيانها من منتجات واختراعات علمية فاقت كل تصور ، فأصبح من الصعب لخريج أقسام اللغة العربية حتى وإن كان حاصلاً على درجة الدكتوراه أن يجد عملاً مناسباً في ميدانه ، وارتبطت صورة أستاذ اللغة العربية في نظر الناس بصورة "المولوي" التي لا تجد احتراماً كافياً بين الطبقة المثقفة ، سواء بأخطائها في التطبيقات الدينية ، أو بفعل تأثير الإعلام الغربي والشرقي على السواء ، وقد يكون لبعض دارسي اللغة العربية يد في هذا بما يظهرونه في أحيان كثيرة من عدم المبالاة بالمظهر العام أو اللباقة في التعامل مع الناس .

* الأستاذ بكلية الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر مصر ، والأستاذ الزائر بقسم دائرة المعارف

على أية حال لعبت نظرة المجتمع الباكستاني -وخاصة الطبقة المثقفة منه إلى دارسى اللغة العربية ومعلمها دوراً هاماً في إحباطهما ، وإعاقتهما عن مواصلة العملية التعليمية بصورة أفضل ، خاصة وأن كلاً منهما يعتقد محقاً أنه في ميدان دراسة جادة وأقرب ما تكون إلى القدسية ، وفي نفس الوقت لا يلقي مقابلاً لهذا سواء من نظرة الناس إليه أو عدم وجود عمل مناسب ، حتى وإن وجد هذا العمل كان أقل في المرتب والدخل من غيره من أصحاب التخصصات العلمية الأخرى ، والواقع العملي الذى تعكسه إعلانات الوظائف الخالية فى الجرائد والمجلات الباكستانية يؤكد هذا الكلام ، فالمتخصص فى العلوم الحديثة من كيمياء وفيزياء وأحياء وطبيعة ورياضة وطب وهندسة وما إلى ذلك مطلوب فى المجتمع وبمرتبات ضخمة ، بينما دارس اللغة العربية والأردية والإسلاميات وغيرها من التخصصات المشابهة يقل الطلب عليه ، وإن طلب فبدخل أقل من نظيره ، مما يوجد شيئاً فى نفس الدارس يدفعه إما إلى النقمة على هذا التخصص ، أو اللجوء إلى الجانب الدينى فى الدراسة ، وإقحام نفسه فى مجال رجال الدين ليرضى شيئاً بداخله ، ويقنع نفسه أنه على الأقل يقوم بعمل مقدس ، وهو لا يدري أن معلوماته الناقصة فى الناحية الإسلامية سوف تؤدي إلى نتائج عكسية تضر المجتمع أكثر مما تفيده ، وأنه كان من الأحرى به والأجدى له أن يبذل هذا الجهد فى مجال دراسته وتخصصه . وربما كان السبب وراء هذا الاتجاه هو أن الرواد من أساتذة اللغة العربية وآدابها فى باكستان كانوا بالفعل من رجال الدين والمشايخ ، لكن العصر اليوم مختلف ، فنحن فى عصر التخصص الدقيق ، والمناهج تغيرت وأصبحت أكثر تخصصية من ذى قبل ، ولهذا ينبغي أن نضع هذا الأمر فى اعتبارنا وأن نواجه به أنفسنا حتى تتضح الرؤية أمام أعيننا .

البدهية الثانية :الفصل بين التخصصات

نحب أن نؤكد على أن نوعية الدراسة التى يدرسها طالب اللغة العربية ، والمواد الدراسية نفسها قد تجعله أكثر معلومات فى الدين من غيره من التخصصات الأخرى إلى حد ما ، إلا أنها لا تكفى لأن تجعل منه رجل دين حتى بعد تخرجه ، كما أنها لا تسمح له بالخوض فى المسائل

الدينية على المأى ، والدخول فى طبقة أخرى لها مقوماتها المعروفة من الدراسة والتخصص ، ولذا فإن على دارس اللغة العربية أن يتجنب إقحام نفسه فى دقائق المسائل الدينية التى تختص بها طبقة أخرى ، فيحمل -دون داع -وزراً كان يمكن أن يريح نفسه منه لور كز اهتمامه على تخصصه الدقيق فى اللغة العربية وآدابها وتاريخها وحضارتها ، وينزع عن نفسه عباءة " المولى " التى يستحقها غيره .

البديهية الثالثة : موهبة التدريس

نحب أن نؤكد أيضاً على أن معرفة اللغة وإجادتها شىء ، وتدريس هذه المعرفة وتوصيلها إلى الآخر بشكل مفيد ومؤثر شىء آخر ، فهناك أرض ينزل عليها الماء فيتسرب منها فلا تنبت زرعاً ولا تبقى ماءً ، وهناك أرض ينزل عليها الماء فتحفظ به لكنها لا تنبت زرعاً ، وهناك أرض ينزل عليها الماء فتشرب منه وتنبت زرعاً يقتات منه الآخرون ، والتدريس فى ذاته موهبة وحب وفن وتدريب وخبرة واجتهاد متواصل ، وله قواعده وأصوله فى العصر الحديث ، ولا يجب أن نعتقد أن بإمكان الناس جميعاً القيام بفرض التدريس على أكمل وجه دون تدريب أو تمرين على أصول التدريس وقواعده التربوية ، حتى وإن كانوا موهوبين فى تخصصهم .

البديهية الرابعة : إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع

يجب أن نتفق على أن المجتمع كله وحدة واحدة يرتبط بعضها ببعض ، ويؤثر بعضها فى بعض ، فإذا حدث خلل فى جانب من الجوانب لا بد أن يؤثر سلباً على باقى الجوانب بنسبة متفاوتة ، كمثل اليد الواحدة لا نستطيع أن نطلق عليها يداً كاملة إلا إذا كانت تضم خمسة أصابع مكتملة ، وهذا التوجيه فى الحقيقة يسهل علينا فهم وتشخيص الخلل والقصور الذى يحدث فى أحد الجوانب بتأثير من خلل وقصور فى جانب آخر حتى وإن ظنناه بعيداً عنه ، ومن هنا فإن إعداد معلم اللغة العربية يحتاج إلى إعداد أشياء وجوانب أخرى كثيرة معه مثل تغيير نظرة المجتمع إلى المدرس ، وإعطاء المدرس حقه من الناحية المالية ، وتوفير الكتب والمراجع والوسائل العلمية له ، وغير ذلك من الأمور التى لا نستطيع أن نصل بمستوى المعلم إلى الدرجة

التي نرغبها دون أن نتعامل معها بالشكل المناسب .

ولهذا فإننا عندما نتحدث عن المعلم المنشود نضع نصب أعيننا المعلم الذي تتوفر فيه ثلاثة

أشياء مبدئية لا غنى لأحدها عن الآخر وهي :

1 الموهبة في مجال التدريس وحب العمل فيه ، فمن العبث أن نتوقع إبداعاً من شخص يعمل في مجال لا يحبه وليس موهوباً فيه .

2 الدراسة العلمية المنظمة والتدريب المستمر المتواصل لصقل هذه الموهبة ومعرفة أصولها ومبادئها ووسائلها وإمكانياتها وحدودها .

3 الإحساس بقيمة مهنة التدريس وخطورتها في مجال تنمية المجتمع وبناء شخصية أفراده ، والنظر إليها على أنها بالفعل مهنة نبوية .

هذا هو المعلم الذي يحظى بمكانة سامية في النفوس سواء على المستوى الديني أو على المستوى الدنيوي ، فهو القائم برسالة الأنبياء في تعليم الناس وتركيتهم ، لأن الأنبياء في الحقيقة معلمون ربانيون ، وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما معناه "بعثت معلماً(١)-

المبحث الأول :

اللغة العربية في شبه القارة الهندية

أكد النبي صلى الله عليه وسلم على أهمية التعلم والتعليم ، وحث على طلبه ، وكان المسجد في القديم هو المعهد العلمي والمدرسة التي يتلقى فيها المسلمون العلم عن نبيهم ومن بعده علمائهم ، ثم ظهرت الكتابات وتم تدوين العلوم ، وأخذ التعليم شكلاً منظماً فيما بعد في العصر العباسي ، ولعبت الخانقاهات الصوفية وبيوت العلماء دوراً كبيراً في نشر العلوم الصوفية والمعارف الروحية ، وازدهرت الترجمة في العصر العباسي أيضاً (٢) ، وكانت وسائل التعليم في البداية تتمثل في المحادثة والحوار بين العلماء وتلاميذهم ، وفي المحاضرات والإملاء على التلاميذ ، وكذلك سفر طلاب العلم طلباً له إلى مختلف الممالك والأمصار .

وعلى مستوى شبه القارة الباكستانية الهندية دخل فيها التعليم على النظام الإسلامي بعد فتحها

على يد محمد بن القاسم عام ٩٣هـ / ٧١٢م ، فانتشرت اللغة العربية في المناطق المفتوحة مع انتشار الإسلام فيها ، وأصبحت منطقة السند في تلك الفترة تتحدث باللغة العربية مع اللغة المحلية ، وبدأ التعليم من المساجد والمدارس التي كانت تبنى ملحقة به ، أو المدارس التي كانت ملحقة بالخانقاهات الصوفية أو بالمزارات والأضرحة أو تلك التي كانت تبنيتها الحكومات أو التي يبنها الأفراد بجهد فردي ، وتاريخ شبه القارة يدلنا على كثير من مثل هذه المدارس التي انتشرت على غرار المدرسة النظامية التي أسسها الوزير السلجوقي المعروف نظام الملك نصير الدين محقق الطوسي في بغداد عام ٤٥٧هـ / ١٠٦٨م ، ومن هذه المدارس مدرسة أنشئت تحت رعاية سيدنا صفى الدين كازروني بمدينة أوتش (٣) في عهد الدولة الغورية "١١٨٦م / ١٢٠٦م" ، وكانت تسمى المدرسة الكاذرونية ، ويدرس بها ما لا يقل عن ألفين وخمسمائة طالب ، وقد أوقف عليها السلطان الغوري أراض كثيرة للإنفاق عليها (٤) ، والمدرسة الفيروزية بمدينة أوتش أيضاً والتي أنشئت في عهد الأسرة السومرية بمنطقة السند "٤٠١هـ / ١٠١١م / ٧٥٢هـ / ١٣٥١م" ، وكذلك مدرسة دار العلوم الملكية بالمدينة نفسها في عهد حكم ناصر الدين قباتشه "٦٠٧هـ / ١٢١٠م / ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م" عليها (٥) ، وغيرها من المدارس .

واشتهر كثير من المعلمين الكبار في شبه القارة الباكستانية الهندية ممن عملوا بميدان التعليم والتدريس في هذه الفترات التاريخية المتقدمة نذكر منهم : الشيخ المحدث محمد إسماعيل البخارى "متوفى عام ٤٤٨هـ / ١٠٥٧م" ، وقدم إلى لاهور من غزنة في عهد السلطان مسعود الغزنوي ١٠٣٠م / ١٠٤٢م "من سلاطين الدولة الغزنوية ١٠٢١م / ١١٨٦م" على الأرجح ، وكان يقوم بالوعظ والتدريس في أحد المساجد (٦) ، والشيخ منهاج سراج ٦٢٤هـ / ١٢٢٧م (٧) الذى كان مسئولاً عن مدرسة دار العلوم الملكية وأستاذاً بها (٨) ، والشيخ عزيز الدين "متوفى ٦١٢هـ / ١٢١٦م" ، وجاء إلى الهند في عهد السلطان شمس الدين ألتمش ٦٠٧هـ / ١٢١٠م ٦٣٣هـ / ١٢٣٦م" ، ومن الملتان القاضى قطب الدين كاشانى "متوفى ٦٣٣هـ / ١٢٣٦م" ، ومولانا غلام قادر عرف إمام كامون "متوفى ١٢٤٤هـ / ١٨٢٩م" ، وكان خطيباً لمسجد وزير

خان ، وكذلك حافظ روح الله لاهورى "متوفى ١٢٤٤هـ / ١٨٢٩م" ، ومولوى غلام الله "متوفى ١٢٧٢هـ / ١٨٥٦م" ، ومولوى محمد جان لاهورى "متوفى ١٢٤٨هـ / ١٨٣٣م (٩) ، ومولوى حافظ غلام رسول جت محليا "متوفى ١٢٤٠هـ / ١٨٢٥م ."

وهكذا انتشر التعليم فى شبه القارة فى عهد الحكومات الإسلامية المتعاقبة ، وبرز نجم بعض المدن فى هذا المجال مثل مدينة لاهور التى قيل عنها فى عهد دولة المماليك "خاندان غلامان : ٦٠٧هـ / ١٢٠٦م ٦٨٩هـ / ١٢٨٩م" إن من بين كل مائة من سكانها تسعين متعلمون ومن بين كل ثمانية عشر تسعة مفسرين للقرآن ، وكان تعليم الهندوس يتوازى فى المعابد مع تعليم المسلمين فى المساجد (١٠) -

أما المناهج الدراسية فى تلك الفترة فكانت تركز على تعليم العلوم الشرعية والعربية والفارسية أيضاً ، وكانت المواد التى تدرس فى تلك الفترة هى النحو والصرف والفقه وأصول الفقه والتفسير والتصوف والحديث والأدب والمنطق وعلم الكلام وغيرها من العلوم النقلية والعقلية (١١) -

ومن الواضح أن اللغة العربية كانت محوراً أساسياً يدور حوله التعليم فى شبه القارة فى فترات الحكم الإسلامى حيث كانت تدرس لذاتها من جانب ، ومن جانب آخر كونها لغة التعليم والتدريس لكثير من المواد الدراسية والكتب التى تضمنتها مناهج هذه الكتب ، هذا بالإضافة إلى اللغة الفارسية .

لكن هذا الاهتمام باللغة العربية لم يستمر فى عهد الاحتلال البريطانى لشبه القارة الباكستانية الهندية ، سواء فى عهد حكم شركة الهند الشرقية ١٦٠٠م ١٨٥٧م" ، أو فى عهد الحكم البريطانى المباشر ١٨٥٧م ١٩٤٧م "حيث أراد الإنجليز فى بداية الأمر إقامة جدار عازل بين المسلمين والعلوم التجريبية الحديثة ، فاهتموا بتدريس وتعليم العلوم الشرقية للمسلمين بالقدر الذى يبقى عليهم داخل هذا الإطار (١٢) ، فلما تبين لهم فيما بعد أن هذا التعليم برغم كل شيء يمكن أن يعمق الانتماء الدينى والثقافى والحضارى لدى المسلمين من أهل البلاد عمدوا إلى تغيير نظام التعليم تغييراً تاماً بما يساعد على خلق طبقة من المحليين لا يصلحون إلا للعمل

موظفين يربطون بين الإنجليز السادة والهنود العبيد وهو ما عبر عنه في مذكراته الشهيرة عام ١٨٣٥م اللورد ميكالي : Lord Macaulay وزير القانون بمجلس الرقابة على الشؤون الهندية في الإمبراطورية البريطانية وأحد زعماء الحركة المنادية بجعل اللغة الإنجليزية وسيلة التدريس في الهند حين قال عن هدف الإنجليز في الهند بأنه "تكوين طبقة تقوم بدور المترجمين بيننا وبين الملايين التي نحكمها ، طبقة من الأشخاص هنود بالدم واللون ولكنهم إنجليز في الذوق والأفكار والأخلاق والسياسة" (١٣)، وسبق أن عبر عن هذا الأمر نفسه صراحة مدير الشركة الشرقية في تعليماتهم إلى ممثلهم الرئيسي في مدينة مدراس أحد المراكز الرئيسية الثلاثة للوجود الإنجليزي في البلاد عام ١٦٨٧م (١٤) يحثونه على " إقامة حكم مدني وإنشاء قوة عسكرية وإيجاد الوسائل التي تكفل الحصول على دخل كبير لتحقيق هذين الهدفين مما يضمن بقاء الهند إلى الأبد مستعمرة كبيرة ذات نظم راسخة تحت السيطرة البريطانية . "

ثم قام الإنجليز بإلغاء التعامل باللغة الفارسية ، وجعلوا تعلم اللغة الإنجليزية شرطاً أساسياً للحصول على الوظائف ، وفضلوا خريجي المدارس التي تسير وفقاً لبرنامجهم على خريجي المدارس الراجعة في البلاد (١٥) مما قام حائلاً بين المسلمين وبين تولي المناصب والوظائف من جانب ، ونفى اللغة العربية والعلوم الإسلامية واللغة الفارسية خارج دائرة الاهتمام ، وساد النظام التعليمي الذي أراده الإنجليز لأهل شبه القاره ، وورثت باكستان عند قيامها عام ١٩٤٧م هذا النظام التعليمي الذي لم يستطع منذ إقراره عام ١٨١٣م وحتى عام ١٩٤٧م أن يقدم ولو عالمياً واحداً مرموقاً في مجال العلوم التجريبية أو فيلسوفاً مبدعاً من أهل البلاد .

وبادرت باكستان عند قيامها إلى عقد المؤتمر التعليمي الأول في الفترة من ٢٧ نوفمبر عام ١٩٤٧م إلى الأول من ديسمبر من العام نفسه بغرض إقرار السياسة التعليمية في هذا البلد الوليد وتنفيذ هذه السياسة بما يحقق الأهداف التي قامت من أجلها وعلى أساسها باكستان (١٦)، ثم أنشئت الهيئة القومية للتعليم عام ١٩٥٩م لنفس الغرض ، واستمر وضع الخطط القومية المتتالية للنهوض بالتعليم في البلاد .

واستمر تعليم اللغة العربية في المدارس والجامعات الباكستانية منذ قيام باكستان ، ولا نستطيع

الحكم على مدى نجاح تدريس وتعليم اللغة العربية من فشله فيها ، لكننا على أية حال نستطيع القول واثقين إن حب اللغة العربية لم يتراجع في قلب أهل باكستان ، ولا نتوقع له أن يتراجع بمرور الأيام بفضل الحب الذي يكتونه للدين الإسلامي وبالتالي للغته ، وهو ما جعلهم في وقت من الأوقات يطالبون باتخاذ اللغة العربية لغة رسمية لباكستان عندما اشتد الصراع اللغوي فيها ، وخاصة بين الأردنية والبنغالية قبل انفصال البنغال "باكستان الشرقية" باسم بنجلاديش ، فطالب البعض (۱۷) باتخاذ اللغة العربية لغة رسمية لباكستان "سداً لباب الاختلافات والقضاء على العصبية الإقليمية واللغوية في البلاد ، وحتى لا تكون النتيجة الحتمية لهذا كله بقاء اللغة الإنجليزية متربعة على عرش البلاد وسيطرة قلة قليلة من الحاذقين لها على مقاليد الأمور وبالتالي استمرار مشكلة اللغة في باكستان دون حل (۱۸)-وربما كانت هذه المطالبة رائجة في وقتها ، ولكن على الجانب النظري فقط ، أما على الجانب العملي فإنني أظنه أمراً صعب التحقيق وإن لم يكن مستحيلاً في ضوء الواقع الذي نعيشه ، إذ أن التحول من لغة إلى لغة وإن كان أمراً وارداً وحدث في الماضي بالفعل ، مثلما حدث مع مصر التي غيرت لغتها بعد الفتح الإسلامي إلى اللغة العربية ، بينما عادت إيران عن العربية إلى لغتها الفارسية ، وغيرت تركيا الحروف العربية للغتها بالحروف اللاتينية ، ولم تستطع باكستان إلى اليوم أن تتخلص من الإنجليزية لغة رسمية لها .وبالتالي علينا أن نعمل مبدئياً على توطيد الصلات والروابط بين اللغة العربية واللغات المحلية واللغة الأردنية على وجه الخصوص عن طريق الدراسات المقارنة والترجمة وإدخال المصطلحات والألفاظ الجديدة كلما أمكن ، بشرط أن تكون مصطلحات وألفاظ تتماشى مع صوتيات اللغة الأردنية أو اللغات الباكستانية وسهلة في النطق لكي تجرى على ألسنة الناس بسهولة ويسر ، وهذا من صميم تخصص المجمع القومي للغة الأردنية ، وهنأ نكسب تعاطف الناس في استبدال المصطلحات والألفاظ الإنجليزية التي نجد لها بديلاً بالأردنية أو اللغات المحلية أو اللغة العربية .

المبحث الثاني :

معلم اللغة العربية المنشود

من نافلة القول أن نؤكد على هدف المسلمين أفراداً وشعوباً وحكومات -من وراء كل عمل يقوم به بما فيه التعليم هو الحصول على رضا الله وتنفيذ مشيئته في الأرض ، وبالتالي لا بد أن تتوافق هذه الأعمال مع ديننا حتى تأتي بالنتيجة المرجوة منها .ولكن المشكلة تتجسد حين نقول إن علينا أن نأخذ من ديننا ونؤسس عليه ، عندئذ قد يقفز إلى أذهان المسؤولين خاصة قضية الرجوع إلى أكثر من ألف وأربعمائة عام إلى الوراء ، وتمثل لهم صورة بعيدة عن الحضارة والتمدن والثقافة والتهديب لأصحاب الأجسام الضخمة واللحي الطويلة والبراقع الطويلة المتدلية والوجوه العابثة والأصوات العالية ، وما هي إلا صورة مزيفة استطاع الإعلام غير الرشيد أن يثبتها في أذهان الأجيال بمرور الأيام ، صورة وهمية صنعناها بأنفسنا في عهود جهلنا ، أو صنعت خصيصاً لنا من وحى خيال غير سوى لا يعرفنا ولا نعرفه ، وصدقناها مع كثرة عرضها وتكرارها ، رغم أن الحقيقة لم تكن هكذا في يوم من الأيام ، ولكننا رسمناها أفلاماً ومسلسلات وبرامج ومقالات ، فإذا ما ظهر مدرس الإسلاميات أو مدرس اللغة العربية في الصورة ظهر رجلاً مظهره منفر ، ملابسه تخلو من التناسق والجمال ، وشعره أشعث أغبر يكاد لونه يتلاشى من قلة تنظيفه وتنظيمه وتهذيبه ، وتصرفاته مضحكة تبعث على السخرية ولا تدعو إلى الاحترام ، متعمر في حديثه لا يفقه ما يقول في الغالب وإنما يردده كالبيغاء ، وإذا قدمناه بصورة أحدث كان رجلاً يعاني من مشكلات مادية ونفسية معقدة استحال حلها ، ويشعر بظلم بالغ يحوله إلى سخرية من نفسه أو نقمة على غيره ، وقد يبيع مبادئه ويتنازل عن قيمه في سبيل تلبية احتياجاته والصعود إلى الطبقة الأعلى ، وأطلقنا عليه ألقاباً توحى بتقليلنا من شأنه ، والواقع مائل أمام الجميع يراه رأى العين ، ولا يحتاج إلى كثير شرح أو توضيح

وبالرغم من ذلك فإن من يطالع تاريخ أقسام اللغة العربية في الجامعات الباكستانية المختلفة منذ إنشائها إلى اليوم يجد عدداً كبيراً من أساتذة اللغة العربية الأجلاء على مستوى علمي عال ، تركوا خلفهم آثاراً علمية رفيعة المستوى ، واجتهدوا أيما اجتهاد في تدريس اللغة العربية وتعليمها لأبنائهم وبناتهم من الطلاب والطالبات ، ونقلوا خبراتهم التعليمية إلى الأجيال التالية

من الأساتذة والمعلمين .

وعندما نتحدث عن معلم اللغة العربية من غير أهلها لغير أهلها نؤكد على أن هناك صفات مشتركة بينه وبين الناس جميعاً يجب أن يتحلى بها لكي يؤدي عملاً مثمراً بناءً ، وكلها صفات أخلاقية يحث عليها الدين ويأمر بها المسلمون جميعاً ومنها الالتزام والأمانة وعدم الغش وتقوى الله والخوف منه والنظافة واللباقة وحسن المعاشرة للناس والتعامل الجيد معهم وما إلى ذلك من الصفات الأخلاقية التي لا غنى عنها لأي فرد صالح عنها مهما كان عمله ومهما كانت وظيفته أو تخصصه ، وهناك أمور تتعلق بتخصص اللغة العربية وطبيعته ينبغي أن تتوفر في معلم اللغة العربية الجيد خاصة إذا كان من غير أهلها نذكر منها :

١ - التخصص

اللغة العربية كما نعلم جميعاً لغة عريقة ثرية ذات تاريخ طويل ، وعلومها وفنونها كثيرة متنوعة ، فهناك عناوين عريضة كالنحو والصرف والأدب والبلاغة ، وكل عنوان من هذه يضم تحته العديد من التخصصات الفرعية وخاصة الأدب ، ففيه الشعر والنثر ، وتحت كل منهما تخصصات فرعية أخرى مثل الشعر القديم والشعر الحديث والأسطورة والرواية والقصة القصيرة والمسرح والنقد والأدب المقارن وغيرها ، ولا يمكن لفرد واحد بطبيعة الحال أن يجيد كل هذه الفروع والعلوم ويتخصص فيها ويقوم بتدريسها ، وإن وجد مثل هذا الأستاذ الموسوعي فهو نادر لا يبنى عليه ، ومن هنا لا بد أن يكون هناك نوع من التخصص بين الأساتذة في أقسام اللغة العربية ، فيتخصص بعضهم في الأدب شعراً والآخر في الأدب نثراً والآخر في اللغة وغيره في التاريخ والحضارة وغيره في النقد وغيره في الأدب المقارن وهكذا ، وتستطيع أقسام اللغة العربية من خلال توجيه الباحثين من الهيئة المعاونة قبل درجة الدكتوراه بها إلى البحث في مجالات التخصص الناقصة لديها حتى تكتمل كل التخصصات ، ويحتاج هذا الأمر إلى إعداد خطة لفترة عينها للتخصصات الناقصة ويعاد النظر فيها بصفة دورية ، ويلتزم المقبولون على التسجيل للدرجات العلمية من العاملين في حقل التدريس بالأقسام بالتسجيل في هذه التخصصات كل حسب رغبته وميوله كلما أمكن ، ولا ينبغي أن نتوقف عند التخصص العام ، فيكون الجميع

متخصصين في تدريس كل علوم وفنون اللغة العربية .

٢ - إجادة التخصص

وهو أمر على قدر كبير من الأهمية ، فليس كل من تخصص في علم أجاهه في زماننا هذا ، حيث لا تستند معايير الجودة إلى مقاييس حقيقية معبرة عن المستوى الحقيقي للخريج ، وإنما تستند إلى الدرجات المرتفعة التي يمكن للطالب الحصول عليها بطرق أخرى غير الاجتهاد مثل الغش والرشوة وما إلى ذلك من الطرق غير المشروعة ، كما تلعب المحسوبيات والقربات والرشاوى والوساطات دوراً كبيراً في تعيين مثل هؤلاء معلمين للغة العربية مما يؤدي في نهاية الأمر إلى تخريب العملية التعليمية . وبالتالي علينا عند اختيار من يعمل بحقل التدريس أن لا ننازل عن مستوى معين من الإجادة يسهم في تقدم مستوى الدارسين كبداية ، واضعين في الاعتبار أن الخبرة والممارسة من أهم الأسباب التي تجعل المعلم مجيداً بدرجة أعلى لتخصصه ، وبالتالي على من يريد العمل في مجال التدريس أو هو يعمل فيه بالفعل أن يحرص على إجادة تخصصه ، وذلك يزيد في ثقته بنفسه ويجعله على استعداد دائم لمواجهة أية أسئلة مفاجئة .

٣ - الاجتهاد المتواصل

الاجتهاد المتواصل في ميدان التخصص ، فمن المعلوم أن العلوم تتطور يوماً بعد يوم ، ولا فرق هنا بين العلوم النظرية والعلوم التطبيقية ، وعلى المعلم أن يضع هذا الأمر في اعتباره دائماً ، فيحرص على توثيق الصلة بينه وبين القراءة والاطلاع والبحث والتحقيق ، للتعرف على كل جديد في مجال المهنة وتحديث ما لديه من معلومات في مجال التخصص ، وعلى معلم اللغة العربية في هذا الخصوص أن لا ينقطع عن ممارسة الكتابة ، فلا يستكف أن يكتب عن أي موضوع من الموضوعات ليحفظ على يده اعتيادها على القلم ، وعلى ذهنه اعتياده على التفكير ، والوسائل العلمية الحديثة مثل الكمبيوتر وشبكة المعلومات الدولية والدوريات والمطبوعات الحديثة والاختلاط بأهل اللغة وغيرها تساعد المعلم في التعرف على الجديد في مجال التخصص وتضيف إليه .

٤ - التحلی بالتذوق الأدبی

ينبغي أن يتحلى معلم اللغة العربية وأدبها بالتذوق الأدبي على الأقل إن لم يكن هو نفسه مبدعاً ، وهذا يتطلب كثرة القراءة في الأدب شعراً ونثراً مع الاقتناع الكامل أن هذا ليس تضييعاً للوقت فيما لا يستحسنه الدين مثلما يعتقد البعض من المتخصصين في اللغة العربية وأدبها ، وهو أمر يؤسف له بالفعل ويشير إلى ضحالة في المعرفة الدينية لدى هؤلاء .

٥ - ممارسة الأنشطة

لا بد أن يحرص الأستاذ على تشجيع طلابه على ممارسة الأنشطة التي من شأنها الارتقاء بالعملية التعليمية من جانب وبناء شخصية سوية من جانب آخر .

٦ - التزام الحيطة والحذر

لا بد أن يحرص المعلم أثناء المحاضرة على ألا يصدر عنه ما قد يلفت أنظار الطلاب وأذهانهم بعيداً عن الدرس مثل حركات اليد أو التعليقات التي لا علاقة لها بالموضوع أو التزام تعبيرات أو ألفاظ معينة تصبح سمة من سماته وعلامة من علاماته إلا أن تكون من الأمور التي لا حرج فيها .

٧ - المظهر الخارجي وحسن السير والسلوك

لا بد أن يهتم المعلم بمظهره الخارجي بالشكل المناسب الذي يجعل منه قدوة لطلابه حتى في مظهره العام من حيث الملبس والمشى والحركة وطريقة الحديث والتحاور وغيرها من السلوكيات العامة التي ينبغي أن يتصف بها الأفراد في الأمم المتحضرة ، كما ينبغي أن يكون المعلم حسن السير والسلوك ، متمتعاً بسمعة طيبة بين جيرانه وزملائه وطلابه ، وذا شخصية سوية متوازنة معتدلة .

٨ - المشاركة في الندوات والمؤتمرات

على المعلم أن يشارك قدر استطاعته في المؤتمرات والندوات وورش العمل والسينمات التي تعقد في مجال التخصص ويحرص على تقديم مشاركة في هذه المناسبات ، وفي ذلك فائدتان

أولهما أن في ذلك نوعاً من التعارف بينه وبين أصحاب التخصص نفسه والتخصصات المتقاربة من المشاركين في المؤتمرات والندوات وغيرها فيمهد ذلك للاستفادة المتبادلة بين الأساتذة ، وثانيهما زيادة المعلومات في مجال التخصص ومجال الثقافة العام من خلال المحاضرات والأبحاث والكلمات التي تلقى في مثل هذه التجمعات العلمية ، وثالثاً يحفظ على نفسه الصلة بينه وبين البحث والتحقيق ويخلق بداخله نوعاً ما من التنافس الشريف مع الزملاء والمشاركين ، وينبغي على المعلم أن لا يستهين بهذه الأمور أبداً حتى وإن ظن مخطئاً أن الأبحاث المقدمة غير قيمة وغير مفيدة ، لأن الاستفادة عمل تراكمي يبني بعضه فوق بعض ، فيعطينا ما نطلق عليه الخبرة .

٩- التواصل مع أهل اللغة

تتميز أقسام اللغة العربية بالجامعات الباكستانية المختلفة بوجود نخبة من الأساتذة المتخصصين في اللغة العربية وآدابها من أهل البلاد ، وهؤلاء يقومون بدورهم في التعليم والتدريس والتأليف قدر استطاعتهم ، ومع ذلك فإن هناك حاجة دائماً لوجود أساتذة من أهل اللغة العربية يعملون على تحديث اللغة العربية بين الأساتذة والطلاب ، ووجود أستاذ متخصص من أهل اللغة أمر لا غنى عنه لدراسة أية لغة أجنبية دراسة صحيحة ، وخاصة عندما تكون هذه اللغة هي لغة التدريس كما هو الحال في بعض أقسام اللغة العربية بالجامعات الباكستانية ، وهو أمر يحمد لها ولجامعاتها على السواء ، وإن كان هذا لا يمنع من الاستعانة باللغة القومية . ولهذا يجب أن تكون لهذه الأقسام علاقات وطيدة باللؤل العربية والهيئات العلمية بها من أجل استخدام الأساتذة من هناك ، فيبعثون روحاً جديدة في الأساتذة والطلاب ، ورغم أن الفائدة من هؤلاء الأساتذة قد تكون في بعض الأحيان لسبب أو لآخر أقل من المتوقع وهو أمر عاصرتة بنفسى فى سنوات سابقة فى باكستان إلا أن هذا لا ينفى الفائدة الكبيرة من وجودهم ، وقد كان هذا الاتصال متحققاً بشكل ملموس ومؤثر حتى سنوات قريبة ، ثم تراجع وانحسر حتى كاد ينقطع ، واقتصر أمر التدريس فى الأقسام على الأساتذة من أهل البلاد . ونحن وإن كنا لا نقلل من شأن هؤلاء الأساتذة إلا أن الأقسام فعلاً فى حاجة إلى استعادة الروابط القديمة واستخدام

أساتذة من أهل اللغة العربية يستعين بهم القسم في تدريس مواد كالمحادثة والأدب المقارن والترجمة والأدب العربي الحديث وما إلى ذلك من المواد التي تحتاج إلى أستاذ من أهل اللغة على أن يتم اختيارهم بشكل جيد .

على أية حال يجب أن يحرص معلم اللغة العربية على التواصل مع أهل اللغة العربية وخاصة الذين يجيدون الفصحى منهم ، إذ أن ذلك كما سبق أن أشرنا يحدث معلوماته ، ويمنحه الثقة في مقدرته على ممارسة اللغة العربية .

المبحث الثالث :

فنيات تدريس اللغة العربية للباكستانيين

هناك بعض الفنيات المتعلقة بتدريس اللغة العربية للباكستانيين وتنطبق كلها بشكل عام على تدريس اللغة أية لغة -لغير أهلها ، وخاصة إذا كان المعلم من غير أهل اللغة العربية ، وقد اعتمدنا في تفصيلها على خبرتنا الذاتية في تدريس اللغة الأردية للمصريين لفترة تزيد على العشرين عاماً ، وعلى تجربتنا في تدريس اللغة العربية للباكستانيين أيضاً ، ونذكر من هذه الفنيات ما يلي :

١- زرع الثقة في نفس الطالب

على المعلم أن يزرع الثقة بالتخصص في نفس الطالب ، وخاصة في أيامنا هذه حيث اهتزت صورة الدراسات الشرقية والنظرية عموماً في أنظار المجتمع والقائمين على أمره على السواء ، وهذا قصور منهم في الحقيقة لا من الطالب ، ولا ينبغي للطالب أن يتأثر بهذا وعليه أن يكون مؤمناً بتخصصه ، وهو أمر لا يتأتى إلا بأن يزرع الأستاذ الثقة في نفس الطالب كما قلنا ، ولكن ليس إلى درجة الغرور التي نلاحظها أحياناً عند المتخصصين في مجال اللغة العربية تصوراً منهم أنهم أفضل من غيرهم لمجرد أنهم يدرسون اللغة العربية لغة الدين الإسلامي ، فهذه بالطبع نظرة غير سليمة ينبغي تجاوزها .

٢ - عدم إغفال الصعوبات الطبيعية

يجب أن لا يغفل المعلم الصعوبات الطبيعية التي تعترض الطالب في دراسته للعربية مثل اختلاف اللغات فيما بينها ، وبطبيعة الحال فإن اللغة العربية تختلف عن اللغة الأردنية في بناء وتركيب الجملة نظراً لأن كلاً منهما ينتمي إلى عائلة لغوية مختلفة ، فالعربية لغة سامية يأتي فعلها في بداية الجملة أو في وسطها ، بينما الأردنية -لغة الطالب -تنتمي إلى عائلة اللغات الهندوآرية ، وفيها يأتي الفعل في نهاية الجملة دائماً ، وكذلك نطق الأصوات التي لا نظير لها في اللغة الأردنية مثل الثاء والحاء والذال والضاد والعين وغير ذلك من الصعوبات الطبيعية التي تعترض الطالب ، ويجب على الأستاذ أن يصبر على تلميذه حتى يتغلب على هذه الصعوبات ، وهو أمر يستغرق وقتاً ليس بالقليل .

٣ - الاستعانة بالثروة اللغوية المشتركة

على الأستاذ أن يستعين بالثروة اللغوية المشتركة بين اللغة العربية واللغة الأردنية ، وأعني بها ذلك الكم الهائل من الألفاظ العربية التي دخلت الأردنية ولا تزال تستعمل في العربية أيضاً ، فلا حرج من الاستعانة بها مما يسهل على الطالب فهم النص والحديث باللغة العربية ، على أن نوضح للطالب الفروق التي حدثت بمرور الزمن بين معنى اللفظ في العربية ومعناه المستخدم به الآن في اللغة الأردنية ، إذ أن كثيراً من الألفاظ العربية التي دخلت الأردنية تستخدم في المعاني الفرعية الثانوية لها ، وليس في المعنى الأساسية التي تستخدم لدى العرب مثل كلمة ضعيف التي تستخدم في اللغة العربية بمعنى من يفتقد القوة لمرض أو تكوين فطري وراثي ، بينما تستخدم في الأردنية عادة بمعنى الشيخ الكهل ، ورغم أن بين المعنيين قاسماً مشتركاً باعتبار ضعف القوة في كليهما ، ولكن مثل هذه الفوارق لا بد أن تكون واضحة لدى الطالب حتى لا يرتبك عند استخدامها ، ومن هذه الألفاظ لفظ غريب وأجنبي وغيرها . وفي هذا الإطار يجب أن يحرص المعلم على تعليم طلابه أكثر من طريقة لبناء جملة تؤدي المعنى نفسه وإن كان بتفاوت .

٤ - نظرية التكريس

لا بد من العمل على تكريس القواعد لخدمة النص ، وتكريس النص لخدمة القواعد ، وتدریس قواعد أية لغة يجب أن يستمر ويتواصل على مدى السنوات الدراسية المختلفة حتى وإن لم نخصص لها مادة بهذا المسمى في كل عام ، لكن على المعلم أن يضع نصب عينيه أن القواعد من أسرع المعلومات التي تطير من ذهن الدارس إذا لم يتم تذكيره بها بصفة مستمرة إلى أن تتبلور في ذهنه وتبرمج في عقله وتصبح من عاداته اللغوية ، ولا يكون هذا إلا بمحاولة توظيف النصوص أثناء شرحها لخدمة القواعد جنباً إلى جنب مع خدمة المعنى ، كما يحسن تدریس القواعد بالأسلوب المقارن، بمعنى دراسة قواعد اللغة الهدف وهي هنا اللغة العربية ، في ضوء قواعد اللغة الأم وهي هنا اللغة الأردنية .

٥ - التكليف بأبحاث صافية ومناقشة الطالب :

لا بد أن يكلف المعلم تلاميذه بأبحاث بسيط يتدربون من خلالها عملياً على البحث والتحقيق ، وعليه أيضاً أن يعتمد على المناقشة مع الطلاب أثناء الشرح ، وأن يشجع طلابه على طرح الأسئلة والتفكير في إجاباتها ، وأن يستفيد في التدریس من الوسائل التعليمية الحديثة المتاحة من شرائط التسجيل واسطوانات الكمبيوتر وشبكة المعلومات الدولية وغيرها

المبحث الرابع :

تنمية معلم اللغة العربية

هناك أمور يجب أن نحققها للمعلم حتى نضمن تطوره وحرصه على المضى قدماً بصدق وإخلاص في المسيرة التعليمية ، وبعض هذه الأمور يتعلق بالمعلم نفسه ، وبعضها يتعلق باللوائح التي تحكم العملية التعليمية والبعض الآخر يتعلق بالمناهج ، وتفصيل ذلك كما يلي :

أولاً : أمور تتعلق بالمعلم :

١ - تأمين مستقبل المعلم

لا بد من تأمين مستقبل المعلمين وتوفير الحياة الكريمة لهم بما يغنيهم عن الأعمال الإضافية

التي تقتل ملكة الإبداع لديهم، وتجعلهم يدورون في حلقات مفرغة ، وتحولهم إلى ماكينات لجمع النقود ، وربما كان من المفيد في هذا أن نتخلى عن نظام التعيين بال عقد أو لفترة مؤقتة ، لأن ذلك يشعر المعلم بعد الأمان في مستقبله الوظيفي ويغلق أمامه الطرق للترقى والتدرج في مناصب المعلمين .

٢ - دورات تدريبية

لا بد من عقد دورات تدريبية إجبارية للمعلمين ، على أن تكون هذه الدورات ذات فائدة حقيقية من خلال استضافة خبراء حقيقيين في مجال تدريس اللغة العربية لغير أهلها ، وخبراء من أهل اللغة يحاضرون في المعلمين عن اللغة العربية وأدبها والجديد في علومها وفنونها وتخصصاتها ، وخبراء في علم النفس التعليمي يشرحون للمعلم كيفية فهم نفسية الطالب وتوظيف ذلك في الارتقاء بمستواه العلمي .

٣ - توفير الأجهزة

يجب على الجامعات أن توفر لأقسام اللغة العربية الأجهزة والوسائل العلمية والتعليمية التي ترفع مستوى الطالب والأستاذ معاً مثل أجهزة التسجيل والحاسب الآلية "الكمبيوتر" وشبكة المعلومات الدولية "الإنترنت" وما يستجد من وسائل مشابهة .

ثانياً : أمور تتعلق باللوائح

١ - القائم بالتدريس

ينبغي أن لا يقوم بمهام تدريس اللغة العربية إلا من حصل على الدكتوراه على الأقل ، وذلك طبقاً للمجال الذي تخصص فيه ، وهذا هو الذي نطلق عليه عضو هيئة التدريس بالجامعة ، أما من هم أقل من درجة الدكتوراه فيكونون بمثابة الهيئة المعاونة ، ويكلفون بإعادة توضيح وشرح الدروس التي شرحها المعلم من قبل كلما لزم الأمر ، لكن لا يكلفون بإلقاء المحاضرات ، ومرد هذا كله إلى أن المعلم قبل الحصول على درجة الدكتوراه لا يكون قد تعمق بما فيه الكفاية لدرجة تجعله يتحمل مسؤولية التدريس بالشكل الصحيح ، وبالتالي يخشى من أن تصل

المعلومة ناقصة إلى الطلاب الذين يقوم بتدريسهم ، بينما المعلم بعد حصوله على الدكتوراه يكون قد ازداد تخصصاً وتوسعاً في مادته ، وأصبح قادراً على توصيل المعلومات إلى الطالب بشكل أفضل ، ومن الطبيعي أن يكون بعض من لم يحصلوا على الدكتوراه أقدر في التدريس ممن حصل عليها ، ولكن هؤلاء نسبتهم قليلة ويظلون على أية حال استثناء لا يقاس عليه .

٢ - القائم على الإشراف

ينبغي أن يكون المشرف على رسائل الماجستير من الحاصلين على درجة الدكتوراه على الأقل ، كما ينبغي أن يكون المشرف على رسالة الدكتوراه ممن هم على درجة أستاذ مساعد على الأقل ، ويمكن أن يشاركه في الإشراف عضو هيئة تدريس حاصل على درجة الدكتوراه ممن لم يرقوا بعد إلى درجة أستاذ مساعد .

٣ - تأليف الكتب والمذكرات

لا يقوم معلم اللغة العربية الحاصل على درجة الدكتوراه بتأليف كتب أو مذكرات تدريسية للطلاب إلا بعد مرور ثلاث سنوات على الأقل من تاريخ حصوله على درجة الدكتوراه ، ولا يسمح لمن لم يحصلوا على الدرجة الدكتوراه بتأليف الكتب والمذكرات الدراسية ، وذلك تفادياً لوقوع أخطاء علمية في الكتب والمذكرات التي يدرسها الطلاب بسبب ضعف المستوى وقلة الخبرة.

٤ - إهتمام المشرف بالباحثين

لا بد من توجيه الأستاذ إلى تخصيص وقت كاف للطلاب الذين يشرف على رسائلهم للماجستير والدكتوراه ، حتى يستفيد الطلاب من توجيهاته وإرشاداته بشكل صحيح ، وحتى يستطيع هو أيضاً متابعة الباحثين ومراجعة ما يكتبون واكتشاف الأخطاء العلمية التي يقعون فيها ، والأخطاء العلمية التي قد يرتكبونها .

٥ - موضوعات الرسائل العلمية

بداية ينبغي أن نؤكد على التنسيق بين أقسام اللغة العربية في الجامعات والمعاهد الباكستانية

المختلفة حين اختيار موضوع للدراسة والبحث ، وذلك حتى لا يحدث تعارض أو تكرار بين الموضوعات التي يختارها الباحثون ، والحقيقة أنني لا أعرف إن كان مثل هذا التنسيق موجوداً بالفعل أم ، ولكنه في غاية الأهمية في عصرنا الحاضر .

هذا ويجب التركيز في الرسائل العلمية وخاصة عند من يعملون محاضرين بأقسام اللغة العربية في الجامعات الباكستانية المختلفة على الموضوعات الدقيقة المتعلقة بتخصص اللغة العربية وآدابها من حيث اللغة والقواعد والأدب شعراً ونثراً بمختلف فروعهما والتاريخ والحضارة ، والتقليل قدر الإمكان من دراسة الموضوعات الدينية كدراسة تخصصية ، إذ أن المختصين بها هم أصحاب الدراسات الإسلامية ،

كما ينبغي أن نضع في الاعتبار أننا ندرس اللغة العربية وآدابها لنفيد أنفسنا وثقافتنا ووطننا -وهو في حالتنا باكستان قبل أن نفيد غيرنا ، ومن هنا ينبغي أن نركز اختياراتنا لموضوعات الدراسة على ما يخدم هذا الجانب ، وألا نرج بأنفسنا في دراسات هي من تخصص أهل اللغة أنفسهم لكونهم أهلها ، وهنا لن نجد مجالاً أفضل من مجالات الترجمة والأدب المقارن لخدمة ثقافتنا وبني جلدتنا .

كما يجب أن تكون موضوعات رسائل الماجستير والدكتوراه والأبحاث والنصوص التدريسية متعلقة بشكل أو بآخر بالواقع وقريبة من الحياة وتأتي بجديد ، وليس مجرد تسويد صفحات بكلام لا يقرأ أحد ، ولا يفيد أحداً . وأقدم هنا اقتراحاً قد يفيد في هذا الخصوص ، وهو اقتراح مطبق بالفعل في الجامعات المصرية التي تدرس اللغات الشرقية وخاصة جامعة الأزهر ، وفحوى الاقتراح أن يكون هناك عرف جامعي في أقسام اللغة العربية عموماً يلزم طالب الماجستير "الذي يكتب رسالة" والدكتوراه بترجمة كتاب من اللغة العربية إلى اللغة الأردية في مجال الدراسة التي يدرسها ، فإن كان يدرس الشعر ترجم الديوان الذي يدرسه أو منتخبات من أشعار الشعراء محل الدراسة إن كان يدرس ظاهرة ما في حقبة زمنية معينة ، وإن كان يدرس النثر ترجم الرواية أو المجموعة القصصية التي يدرسها أو الكتاب محل الدراسة التي يقوم بها أو منتخبات من الإبداع النثرى الذي يحققه إن كان يدرس ظاهرة ما في حقبة زمنية معينة ، وهكذا نجد لدينا

بعد فترة مجموعة من الكتب والإبداعات المترجمة إلى اللغة الأردنية ، فشرى لغتنا وأدبنا وثقافتنا ويطلع أبناء وطننا على ما عند العرب من إبداع أدبي وتاريخي وحضاري ولغوي .والحقيقة أن هذا تقريباً هو الجديد الذي يمكن أن يأتي به الباحث في بحثه ، وإلا أصبحت الأبحاث في معظمها مجرد نقل لا أكثر ، خاصة وأنا نعرف أن الشرط الأساسي في كتابة الرسائل العلمية وإجازتها أن تأتي هذه الرسائل والأبحاث بجديد ، ومجال دراسة الأدب يختلف عن مجال دراسة العلوم في موضوع الإتيان بجديد هذا .

وهناك في هذا الخصوص سؤال يتبادر إلى الذهن وهو :إذا كان القصد من دراستنا لأية لغة أجنبية أن نفيد بلادنا في المقام الأول ، فما الفائدة إذن من كتابة الرسائل العلمية بلغة التخصص ، ونحن نعلم أن هذه الرسائل بهذا الشكل يقل مستواها العلمي والبحثي من جانب لكون الباحث من غير أهل اللغة ، اللهم إلا في القليل النادر حيث يكون الباحث متمكناً من لغة التخصص كتابة ويمتلك الحس اللغوي الذي لا يمتلكه إلا أهل اللغة أو من عاش بينهم سنوات طوال ، ومن جانب آخر فإن قراء هذه الأبحاث قليلون للغاية ، وربما ينحصر في المتخصصين في مجال هذه اللغة وأدبها وبعض أهل اللغة الذين تتاح لهم الفرصة للاطلاع على هذه الأبحاث ولا يملكون إلا الثناء عليها لكونها في الحقيقة جهد كبير بذله شخص من لغة أخرى في الكتابة بلغة غير لغة أمه حتى وإن كانت ضعيفة في مستواها العلمي .

وهنا ألا يجدر بنا أن نجد صيغة متوازنة تؤدي إلى تعظيم فائدة هذه الرسائل واطلاع أكبر عدد من القراء عليها ، ونظن أن هذا لن يكون إلا بكتابة الرسائل والأبحاث باللغة الأردنية مع كتابة ملخص واف لها باللغة العربية ، أو على الأقل جعل مسألة الكتابة هذه أمراً اختيارياً يكتب الطالب باللغة الأردنية إن شاء ، وبهذا يرتفع مستوى هذه الرسائل ، ويمكن طبعتها ونشرها في باكستان بدلاً من أن توضع على الأرفف وهي جهد سنوات عديدة من عمر الباحث لا ينبغي أن يضيع هباءً . على أية حال ينبغي أن نفكر في الأمر من كل جوانبه قبل الإقدام على خطوة بهذا الشكل وإن كانت مطبقة بالفعل في تخصص اللغات الشرقية بالجامعات المصرية بأمر من القضاء المصري .

وفى النهاية لا بد أن نكون عمليين فى اختيار لغة التدريس بأقسام اللغة العربية وكتابة رسائل الماجستير والدكتوراه وكذلك الأبحاث والمقالات ، والحقيقة أن التحول فى لغة التدريس إلى اللغة العربية قد يكون مفيداً ، ولكن هناك عدة محاذير يجب أن نضعها فى الاعتبار منها درجة إجادة المعلم للحديث باللغة العربية والتعبير بها وأسلوب الأستاذ فى الحديث والتعبير باللغة العربية بحيث لا يكون باعثاً على الملل ويؤدى إلى عدم التركيز ذهنى لدى الطالب ، ويجب كذلك مراعاة الأساس العلمى لدى الطالب والذى حصل عليه خلال سنوات الدراسة السابقة على الجامعة ، فنرى إن كان هذا الأساس يمكن الطالب بالفعل من استيعاب معظم ما يقوله الأستاذ باللغة العربية وغير ذلك .

أما كتابة الأبحاث والرسائل باللغة العربية فهى أيضاً عدة محاذير يجب أن نضعها فى الاعتبار منها مدى مقدرة الطالب على الكتابة باللغة العربية ، ومدى مقدرة الأستاذ المشرف وتمكنه من موضوع البحث بالإضافة إلى تمكّنه من اللغة نفسها ، ومدى توفر المصادر والمراجع ، ومدى إحاطة الأستاذ المشرف بما كتب سابقاً عن الموضوع فى مؤلفات أهل اللغة ليتمكن من اكتشاف محاولات النقل والغش العلمى وغير ذلك ، وإذا لم نضع فى اعتبارنا كل هذه الأمور لكان النفع قليل والعائد لا يجدى .

ثالثاً : أمور تتعلق بالمنهج

١ - مواد جديدة

إذا أردنا أن ندرس أمراً ما فيجب أن ندرسه فى ضوء ما نعرفه مما يماثله من أمور لنعرف أين تقف أقدامنا ، فإذا درسنا اللغة العربية يجب أن تكون لدينا خلفية عن لغتنا نحن أولاً بجانب اللغات الأخرى المعروفة فى العالم كلما أمكن ، والقاعدة تقول إن من لا يجيد لغته لا يستطيع أن يجيد لغة الآخر ، إلا أن يولد بين هذا الآخر ويعيش بين ظهرانه فيجيد لغة هذا الآخر دون أن يجيد أو حتى يعرف لغته هو ، ومثالنا على هذا الباكستانيون الذين يولدون ويعيشون فى دول خارج باكستان عربية أو أوروبية أو غيرها ، فهم يشبون على معرفة لغة أهل البلد الذى يعيشون به ، ويتلقون فيه تعليمهم ويمارسون على أرضه حياتهم بشكل طبيعى . أما أبناء باكستان الذين

يعيشون على أرض باكستان فلا نظن أن أحداً منهم يستطيع أن يجيد لغة أخرى ويدع بها دون أن يكون مجيداً للغة متذوقاً لها ، ومن هنا فإنني أرى أنه لا بد من إدخال المواد التالية والتركيز عليها في مرحلة الماجستير بأقسام اللغة العربية بالجامعات الباكستانية المختلفة :

أ - مادة اللغة والأدب الأردى

ولذلك فائدتان هامتان :

١ - الاطلاع المتخصص على موضوعات اللغة والأدب الأردى ومعرفة ميادين الإبداع فيه على أيدى أساتذة متخصصين فى اللغة والأدب الأردى بما يساعد على الدراسة المقارنة المتخصصة الموظفة توظيفاً صحيحاً لخدمة الثقافة العربية والثقافة الأردية على السواء .

٢ - يزرع هذا نوعاً من الثقة فى نفس الدارس الباكستانى ، ويقضى على النظرة الأحادية بداخله ، ويخلق نوعاً من التوازن فى الدراسة ، كما يضيف إلى الدارس نوعاً من المتعة يدفعه إلى مزيد من التقدم فى دراسته ، وعلى الجانب الآخر يزرع بداخله نوعاً من الإيمان بالإبداع الإنسانى ككل ، وهو ما يفيد على المدى البعيد فى تكوين شخصية متوازنة داخل الدارس الذى سيكون فى يوم من الأيام أستاذاً أو فى منصب من المناصب العامة .

ب - الأدب المقارن

إن نظرة بسيطة على قائمة موضوعات الدكتوراه بأقسام اللغة العربية بالجامعات الباكستانية ، سواء الموضوعات التى تم منح درجة الدكتوراه على أساسها أو التى لم تمنح بعد ، تخبرنا أن هذه القائمة تكاد تخلو من موضوعات الأدب المقارن بين العربية والأردية أو غيرها من اللغات المحلية بباكستان ، وسوف تجد عدداً كبيراً من المخطوطات التى تم تحقيقها ، وكثيراً من الشخصيات الأدبية والدينية التى تمت الإفاضة فى الحديث عنها .والحقيقة أن كل هذا له قيمة كبيرة ، ويعد إسهاماً عظيماً ، ولكننا فى حاجة أيضاً إلى أن نطلع العالم العربى على ما عندنا هنا فى آدابنا المحلية ، ولن يتأتى هذا إلا بالدراسة المقارنة بين الموضوعات الأدبية واللغوية والتاريخية والحضارية المختلفة والمشاركة ، وبهذا نستطيع أيضاً أن نوطد الصلات بين اللغة العربية واللغات المحلية فى باكستان ، مما ينتج عنه زيادة فى المعرفة وتبادل المعلومات .ولا

يجب أن ننسى أن الموضوعات اللغوية والأدبية المتخصصة الدقيقة يستطيع أهل اللغة أن يكتبوا فيها بصورة تفوق من يكتبون فيها من غير أهلها في كثير من الأحيان ، وبالتالي لا يبقى عندنا مجال مؤثر نقدم فيه إبداعنا إلا الأدب المقارن ، ولا ننسى أيضاً أننا نقدم إلتاجنا هذا طالما كتبناه بالعربية إلى العرب جنباً إلى جنب مع المتخصصين في العربية في باكستان ، والعرب ولا شك في حاجة إلى أن يتعرفوا على مناحي العلم والمعرفة في اللغات الباكستانية ، ولن يقدر على هذا إلا المتخصصون في اللغة العربية وآدابها من الباكستانيين الذين يجيدون لغتهم ، ولهم اطلاع عميق ومباشر على آدابها .

ج - المحادثة

هناك جانبان هاما في دراسة أية لغة ، أما الجانب الأول فهو الجانب المكتوب ونقصد به كل ما هو مكتوب بهذه اللغة الأجنبية ، والجانب الآخر هو الجانب المنطوق ونقصد به المحادثة والكلام ، والحقيقة أن العامل النفسي في هذا الجانب على قدر كبير من الأهمية ، فدراسة الجانب المكتوب لا مفر منه ، ولكن الجانب المنطوق "المحادثة" أكثر منه أهمية على الجانب النفسي ، بمعنى أنه إذا لم يستطع الدارس التحدث باللغة التي يتعلمها حال بينه وبين المكتوب بهذه اللغة حائل كبير من الناحية النفسية تجعله لا يقبل عليه ، ويسبب له ذلك حرجاً كبيراً فيما لو تواجه مع أحد من أهل اللغة أو جلس في مجلس يتحدث أفراد هذه اللغة . أما لو أجاد الدارس المحادثة فإن هذا سيدفعه نفسياً إلى التعمق في المكتوب بهذه اللغة ويمنحه متعة كبيرة في الدراسة تساعده على تحمل الصعاب في سبيلها ، وهذا في الحقيقة ليس أمراً نظرياً ، وإنما هو أمر واقع نستطيع أن نلاحظه على كل المستويات بين دارسي اللغات بشكل عام ودارسي اللغة العربية بشكل خاص .

ومن هنا كان لمادة المحادثة أهمية كبرى في زيادة الإقبال على تعلم اللغة والتعمق في الجانب المكتوب بها ، ورغم وجود هذه المادة في مناهج السنة الأولى من مرحلة الماجستير ببعض أقسام اللغة العربية بالجامعات الباكستانية ، إلا أن هذا الوجود البسيط لا يكفي ، ولا بد من إقرار هذه المادة في السنة الثانية أيضاً مع زيادة عدد الساعات المخصصة لها ، وينبغي أن نعمل على

إسناد هذه المادة بقدر الإمكان إلى أساتذة من أهل اللغة العربية إن وجدوا ، هذا بالإضافة إلى الاستعانة بالوسائل العلمية التي تساعد في هذا المجال سواء بالمعامل أو بالمواد المسموعة أو المرئية ، أو اسطوانات الكمبيوتر وشبكة المعلومات الدولية "الإنترنت" أو ما شابه ذلك من الوسائل .

٢ - علاقة النصوص بالواقع

يجب أن تكون النصوص المقترحة للتدريس متعلقة بالحياة العملية ولها صلة بواقع المجتمع الباكستاني أيضاً وتهدف إلى خلق القدرة على التعبير في الطالب .

٣ - التنوع في النصوص

لا بد من مراعاة التنوع في النصوص التي تدرس في مادة الترجمة ، فتشمل نصوصاً أدبية ودينية وصحفية وعلمية .

٤ - كتب الأطفال

لا مانع من الاستفادة من كتب اللغة العربية الموضوعية للمراحل الابتدائية عند أهل اللغة أو التي كتبت خصيصاً لأطفال أهل اللغة وتقديمها كنماذج دراسية تعليمية في الفرق الأولى على الأقل ، إذ ليس من الإنصاف ، بل ويعد من الخطأ العلمي المنهجي أن نقرر نصوصاً ذات مستوى مرتفع أعدت خصيصاً للطلاب من أهل اللغة لتدريسها في مرحلة معينة ، فنفرضها على الطلاب من غير أهل اللغة في المرحلة ذاتها ، فلا شك أن هناك فرقاً واضحاً بين طالب اللغة العربية من أهل العربية وطالب اللغة العربية من باكستان مثلاً وهو ما يجب أن لا نغفله عند وضع المناهج وتدريسها .

٥ - التدرج في المناهج

يجب على المتخصصين في وضع المناهج وتطويرها مراعاة التدرج في المناهج من الأسهل إلى الأصعب ، وبالتالي يجب أن تكون النصوص المقررة على السنة الأولى أسهل من النصوص المقررة على السنة الثانية وهكذا ، وذلك حتى نزرع في قلب الطالب حب التخصص أولاً

والإقدام على الاجتهاد فيه (19)). هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ينبغي أن نراعى فى تدريسنا للنصوص المختارة الربط التطبيقى الدائم مع القواعد ، فلا ينفصل الطالب عن قواعد اللغة العربية فى حال من الأحوال ، وهذه من البديهيات فى تعليم وتدرّس أية لغة من اللغات ، وخاصة إذا كانت لغة ثرية وعريقة كاللغة العربية .

الھوامش

- ۱- مسند أحمد بن حنبل - طبعة حيدر آباد الدكن ج: ۳ ص: ۳۲۸
- ۲- أحمد حسن الزيات تاريخ الأدب العربي بيروت لبنان ۱۹۹۳م ص: ۱۵۴ وما بعدها .
- ۳- مدينة أوتش مدينة صغيرة بالقرب من الملتان وبها عدد كبير من المزارات والأضرحة التاريخية ، وتكتب بالهجوم الفارسية .
- ۴- د. أنجم رحمانی پاکستان میں تعلیم، ایک تحقیقی جائزہ لاہور پاکستان ۲۰۰۶م ص: ۳۰
- ۵- كان ناصر الدين قباتشه هذا عبداً للسلطان شهاب الدين الغوري ، ثم أقام حكومته في منطقة السند ، واتخذ من مدينة أوتش حاضرة له ، واهتم بأمرها كثيراً حتى أصبحت مركزاً علمياً كبيراً في زمانها .
- ۶- د. أنجم رحمانی پاکستان میں تعلیم، ایک تحقیقی جائزہ ص: ۲۶ وانظر أيضاً محمد لطيف ملك أولياء لاہور سنگ ميل پبلي كيشنز لاہور ۲۰۰۵م ص: ۲۵-۲۶
- ۷- صاحب كتاب طبقات ناصري المعروف .
- ۸- د. أنجم رحمانی پاکستان میں تعلیم، ایک تحقیقی جائزہ ص: ۳۳
- ۹- حضرت جان محمد لاہوری من أهل برويز آباد التي كانت حياً معروفاً في زمانه ، وكانت تقع بالقرب من لاہور ، وتعلمذ على يد ميان وهذا وتلقى من فيضه الكثير ، ثم تتلمذ بعد ذلك على يد ميان تيمور ، هذا وقد كانت لجان محمد اللاهوري اليد الطولى في علم الفقه والحديث حتى أن ميان تيمور جعله نائباً له في التدريس ، ودفن في برويز آباد أولاً ثم نقل رفاته بجانب قبر ميان وهذا صاحب . لمزيد من التفصيل راجع كتاب أولياء لاہور من ص: ۴۶ إلى ص: ۴۹ .
- ۱۰- د. أنجم رحمانی پاکستان میں تعلیم، ایک تحقیقی جائزہ ص: ۴۰ وما بعدها .
- ۱۱- المرجع السابق ص- ۴۱
- ۱۲- لمزيد من التفصيل راجع: دكتور أنجم رحمانی - باكستان مین تعلیم ایک تحقیقی جائزہ ص: ۷۸
- ۱۳- د. لياقت علی خان نیازی پاکستان کے لیے مثالی نظام تعلیم کی تشکیل سنگ ميل پبلي كيشنز لاہور ۲۰۰۲م ص: ۱۰۰
- ۱۴- وهي بومباي وكلكتة ومدراس .
- ۱۵- وهي المدارس التي كان يسود فيها الدرس النظامي ، وهو نظام التعليم الذي يعتمد المناهج التي وضعها مولانا نظام الدين أنصاري السهالوي ۱۱۶۱ھ / ۱۷۴۸م) ، ومولانا نظام الدين أنصاري هذا ابن العالم الكبير مولانا قطب الدين عبد العليم أنصاري السهالوي أحد العلماء المعروفين في عهد

أورنكزيب ، والسهاوى نسبة إلى موضع سهالى من ضواحي لكهنو ، ويقع حالياً فى بنجلاديش ، وقد نسبت هذه المناهج إلى مولانا نظام الدين السهاوى ، فأصبح يطلق عليها الدرس النظامى ، وكان يعتمد على الصرف والنحو والبلاغة والمنطق والفلسفة والرياضيات وأصول الفقه والفقه وعلم الكلام والتفسير وعلم الحديث وعلم المناظرة ، وحدد لكل من هذه العلوم بعض الكتب والمصادر التى يدرسها الطالب خلال فترة تقترب من ثمانى سنوات ، ونفذه فى أول أمره فى المدرسة العالية النظامية فرنكى محل بلكهنو .

۱۶ - الدكتور عثمان على عيساى والدكتور محمد لطيف ورك - باكستان میں اعلیٰ تعلیم (ماضی ، حال ، اور مستقبل) اسلام آباد پاکستان ۲۰۰۵م ، ص: ۱۶

۱۷ - كانت هناك مطالبات شبة رسمية لجعل اللغة العربية لغة رسمية لباكستان عندما احتدم الصراع بين البنغالية والأردية ، وكانت أول خطوة فى هذا الأمر توصية من مجلس شورى حزب الرابطة الإسلامية بباكستان الشرقية فى ۲۱ يناير ۱۹۵۱م ، وأيد هذه التوصية خمسة وستون نائباً من نواب المجلس التشريعى الإقليمى ورفعوها إلى المجلس التشريعى المركزى . للتفصيل : حسين يسن الكاتب و محمد حسن الأعظمى أمة واحدة ولغة واحدة القاهرة مصر ۱۹۵۶م ص: ۴۶

۱۸ - حسين يسن الكاتب و محمد حسن الأعظمى أمة واحدة ولغة واحدة ص: ۱۰

۱۹ - راجع : د . إبراهيم محمد إبراهيم ، د . أحمد محمد أحمد الشعر الأردى الحديث والمعاصر القاهرة مصر ۲۰۰۳م ، ص: ۴، من المقدمة .



